

سلوكي اليومي ومبادئ الإشراف الإجرائي



البشير معمريّة - أستاذ القياس النفسي ومناهج البحث النفسي (سابقاً)
جامعة الحاج لخضر . باتنة، ومحمد الأمين دباغين . سطيف

psypspsy2017@gmail.com

من الأدلة المدعومة لنتائج البحوث النظرية، وجود تطبيقات لها في الواقع

أعزائي وأحبائي المتخصصون في علم النفس.

- هل تريدون أن تزدادوا معرفة ببعض مبادئ ومفاهيم نظرية سكينر، في الإشراف الإجرائي ؟
- هل تريدون أن تزدادوا معرفة بمدى سهولة تطبيق مبادئ الإشراف الإجرائي على السلوك اليومي للبشر ؟
- إذا كانت إجاباتكم، نعم، إليكم هذا المقال الصغير والبسيط.

ومن بين هذه النظريات الأربع، أو الست (إذا أخذنا بعين الاعتبار نظريتي بافلوف وثورندايك)، كانت نظرية سكينر الإجرائية الأوفر حظاً في الوقوف شامخة متحديّة تغيرات الزمن. وصمدت بقوة في مواجهة النقد الذي جاءها من جهات نظر علمية، وخاصة من تشومسكي والمعرفيين، وغير علمية عديدة، لقد ظهرت النظرية الإجرائية قوية، واستمرت كمحفز قوي للبحث العلمي النفسي، ومصدر لتطبيقات عملية واسعة النطاق، وملفتة للانتباه، ومثيرة للاهتمام، في مجالات إنسانية مختلفة.

عناصر الإشراف الإجرائي.

يتكون الإشراف الإجرائي، لدى سكينر، من مكونين أو عنصرين يتتابعان، أو يحدثان بالتتالي، أي يحدث أحدهما أولاً فيعقبه الآخر، زمنياً، ومرتبطين شرطياً، هما: (1) السلوك الإجرائي أو الاستجابة الإجرائية. (2) عاقبة السلوك الإجرائي.

السلوك الإجرائي. (أو الاستجابة الإجرائية)، وهو المفهوم المركزي الأول في الإشراف الإجرائي، أو النظرية الإجرائية، ويعرّفه سكينر بأنه: "سلوك يعمل في بيئته". ومن خصائصه أنه إرادي، ولا تسبقه أي مشيرات تدفعه للظهور، بل يظهر وكأنه يحدث من تلقاء نفسه. وكلمة إجرائي تعني أنه يحدث فعلاً في البيئة ويؤثر فيها، ويلاحظ مباشرة ويقاس، كالمشي والكلام والالتفات والكتابة والغناء وغيرها.

تعدّ البحوث العلمية النفسية في التعلم الارتباطي الشرطي، التي بدأت أعمالها الرائدة في أواخر القرن التاسع عشر، وامتدت، تقريبا، 60 سنة من القرن العشرين، في المخابر العلمية في جامعات كل من روسيا وأمريكا، من أرقى البحوث في علم النفس، تنظيراً ومنهجاً ونتائج وتطبيقاً، وستبقى دائماً من أرقى البحوث في علم النفس. لقد بدأها بافلوف وبختريف في روسيا، وبدأها ثورندايك وواطسن في أمريكا، ثم واصلها طولمان وسكينر وهل وجاثيري وغيرهم، مثل: روبرت يركس، وليام استس، كينيث سبنس في أقسام علم النفس بالجامعات الأمريكية ومخابرها.

وإضافة إلى نظرية التعلم الارتباطي بالإشراف الاستجابي (بافلوف) في روسيا. ونظرية التعلم الارتباطي الشرطي بالمحاولة والخطأ (ثورندايك) في أمريكا. أسفرت الجهود العلمية النفسية في أمريكا عن ظهور أربع نظريات رئيسية في علم نفس التعلم الأمريكي، في النصف الأول من القرن العشرين. هي:

- (1) نظرية سكينر السلوكية الوصفية.
- (2) نظرية إدوارد شيز طولمان السلوكية المعرفية الغرضية.
- (3) نظرية كلارك هل السلوكية الافتراضية القياسية المفصلة.
- (4) ونظرية إدوين جاثيري السلوكية القائمة على المبدأ الوحيد القائل بأنه في أي موقف تعليمي كل ما يفعله الكائن الحي هو أنه يكرر ما فعله في المرة السابقة.

عاقبة السلوك الإجرائي. أما الذي يعقب السلوك الإجرائي، فهو إما تعزيز أو عقاب.

التعزيز. وهو المفهوم المركزي الثاني في الإشرط الإجرائي، والتعزيز مبدأ أساسي في الحياة، ساعد سكينر على اكتشافه وتطويره، وأبرز أهميته في التعلم. وكان لمبادئ التعزيز الفضل الكبير في اكتشاف أنه من الممكن توجيه الأفراد وتعديل سلوكهم، ودفع إمكاناتهم نحو العمل والإنتاج، من خلال تعزيز الجوانب المرغوبة من السلوك. ويعرف التعزيز، في النظرية الإجرائية، بأنه "أي حدث عندما يعقب استجابة إجرائية معينة يؤدي إلى زيادة تكرار حدوثها في المواقف السلوكية المشابهة".

أو بلغة سكينر الوصفية البسيطة: "هناك أحداث أو أشياء مثل الشعير والذرة، إذا أعقبت استجابة إجرائية كالنقر لدى الحمامة، أو أي طعام، أو نقود أو مدح أو استحسان.... بعد استجابة إجرائية لأي كائن عضوي، من المحتمل أن تجعل تلك الاستجابة الإجرائية تستمر في الصدور، وتثوى".

وبالنسبة للبشر، إذا أدى الفرد عملاً (استجابة إجرائية) ونجح فيه، أو تلقى عليه

مكافأة، من المحتمل أن يجعل ذلك النجاح، أو تلك المكافأة، الفرد يستمر في إنجاز عمله، بعد ذلك، بطريقة ناجحة، ويعد كل من النجاح والمكافأة تعزيزاً.

ويؤدي التعزيز دور الحفاظ على الاستجابة الإجرائية أو تقويتها في المستقبل.

وينفوق سكينر على كل من تحدثوا عن التعزيز، من السلوكيين وغيرهم، في وضع نظرية شاملة حول التعزيز، وأشكاله، وكيفية استعماله، ودوره في تعديل السلوك.

العقاب. ورغم أن سكينر، لا يدعو إلى استعمال العقاب كأسلوب لتعديل السلوك، بل يرفضه، صراحة، ولكنه، مع ذلك، أدرجه ضمن نظريته، وتناوله بأشكاله المختلفة، بنفس الطريقة التي تناول بها التعزيز.

ويعرف العقاب، وفق النظرية الإجرائية، بأنه "أي حدث عندما يعقب استجابة إجرائية معينة، يؤدي إلى اختزالها أو إضعاف صدورها في المواقف السلوكية المشابهة".

أو بلغة سكينر الوصفية البسيطة: "هناك أحداث أو أشياء مثل الصدمة الكهربائية، أو انقطاع التعزيز بالشعير أو الذرة، إذا أعقبت

استجابة إجرائية كالنقر لدى الحمامة، أو الفشل في أداء الاستجابة الإجرائية لأي كائن عضوي، أو انقطاع التعزيز عنها، تجعل تلك الاستجابة الإجرائية تضعف في الصدور، أو تتوقف نهائياً".

وبالنسبة للبشر، إذا أدى الفرد عملاً (استجابة إجرائية) ولم يتلق عليه تعزيزاً موضوعياً أو ذاتياً، أو فشل فيه، فمن المحتمل أن يجعل انقطاع التعزيز، أو الفشل، الفرد يتوقف عن إنجاز عمله بعد ذلك، ويعد كل من انقطاع التعزيز والفشل عقاباً.

ويؤدي العقاب دور إضعاف الاستجابة الإجرائية أو إلغائها في المستقبل.

تطبيق الإشرط الإجرائي على سلوكي اليومي.

إليك تطبيقاً للإشرط الإجرائي، أو النظرية الإجرائية على السلوك اليومي للبشر، من خلال سلوكي الإجرائي اليومي العادي وما يعقبه، أو ما يليه. بعيداً عن تجارب سكينر على الفئران والحمام في الحجرات الإجرائية Operant Chambers (صناديق سكينر Skinner boxes)،

- غادرت منزلي، أسير خطوة تتبعها خطوة (استجابات إجرائية) وتمت كل خطوة

بنجاح (تعزيزات موجبة مستمرة). وصلت إلى الهدف/ السيارة (تعزيز موضوعي موجب)،

- أرسلت شحنة كهربائية من مفتاح السيارة، نحو السيارة (استجابة إجرائية)، فزال غلق أبوابها الأربعة (تعزيز موضوعي موجب).

- مددت يدي اليسرى إلى مقبض الباب فمسكت به وجذبتة ناحيتي لفتحه (استجابات إجرائية) حدثت كلها بنجاح (تعزيزات موجبة) فانفتح الباب (تعزيز موضوعي موجب).

- دخلت بجسمي كله إلى داخل السيارة وجلست في مقعدي (استجابتان إجرائيتان) فتمت العملية بنجاح (تعزيز موضوعي موجب).

- أدخلت المفتاح في مشغل المحرك (استجابة إجرائية) فأخذ مكانه بنجاح (تعزيز موضوعي موجب)،

- أدت المفتاح في اتجاه الأمام لتشغيل محرك السيارة (استجابة إجرائية) فاشتغل محرك السيارة بنجاح (تعزيز موضوعي موجب).

- وضعت حزام الأمان (استجابة إجرائية) شعرت بالارتياح (تعزيز ذاتي موجب) لأداء هذا الواجب المنصوص عليه في قانون المرور الجزائري.
- ضغطت بقدمي اليسرى على دواسة الفرامل، ودفعت بيدي اليمنى محوّل السرعات إلى الدرجة الأولى (استجابتان إجرائيتان) فتمت العمليتان بنجاح (تعزيزان موضوعيان موجبان).
- مددت يدي اليمنى إلى المكبح اليدوي لإنزاله إلى الأسفل (استجابة إجرائية) فتمت العملية بنجاح (تعزيز موضوعي موجب).
- أبعدت قدمي اليسرى تدريجياً من على دواسة الفرامل (استجابة إجرائية) فتمت بنجاح (تعزيز موضوعي موجب)، وفي الوقت نفسه ضغطت بهدوء بقدمي اليمنى على دواسة إمداد الغاز إلى محرك السيارة (استجابة إجرائية) فتحرّكت السيارة إلى الأمام (تعزيز موضوعي موجب).
- فجأة أشاهد طفلاً واقفاً أمام السيارة. ضغطت على الفور وبسرعة على المكبح (استجابة إجرائية)، فتوقفت السيارة فوراً (تعزيز سالب بإشراط التجنب) لأنني بالضغط الفوري على المكبح، وتوقف السيارة فوراً، جعلني ذلك أتجنب ارتكاب حادث.
- أثناء قيادتي للسيارة، كنت أغير سرعات سير السيارة (استجابات إجرائية) توافقا مع ظروف الطريق (تعزيزات موضوعية موجبة).
- أثناء قيادتي للسيارة، كنت استعمل مقود الدوران، لأنحرف إلى اليمين مرة، وإلى اليسار مرة أخرى، كلما تطلب الأمر ذلك، توافقا مع ظروف الطريق (استجابات إجرائية) وكانت العمليات تتم بنجاح (تعزيزات موضوعية موجبة).
- أثناء قيادتي للسيارة صدرت مني العديد من الاستجابات الإجرائية؛ الالتفات إلى اليمين الالتفات إلى اليسار، النظر إلى الخلف من خلال المرآة العاكسة، لمعرفة ظروف الطريق؛ يوجد ازدحام، ولا يوجد ازدحام، انحرف إلى اليمين، انحرف إلى اليسار، سير سريع، سير بطيء، كنت أتصرف تماما وفق ذلك، باستعمال مقود السيارة، وعملية تغيير السرعات، والضغط على دواسة الغاز، مرة، ثم الضغط على دواسة المكبح، أو دواسة الفرامل، مرات أخرى (استجابات إجرائية عديدة)، فتوافق سير السيارة مع ظروف الطريق (تعزيزات موضوعية موجبة)، وتجنب ارتكاب حوادث (تعزيزات موضوعية سالبة بإشراط التجنب).
- اتجهت إلى موقف عمومي للسيارات لركن السيارة (استجابة إجرائية) فوجدت مكانا شاغرا يسع حجم سيارتي (تعزيز موضوعي موجب)، فشعرت بالارتياح (تعزيز ذاتي موجب).
- لتوقيف السيارة، أبعدت قدمي اليمنى من على دواسة إمداد الغاز إلى محرك السيارة (استجابة إجرائية)، فتمت العملية بنجاح (تعزيز موضوعي موجب). وضغطت بها، بعد ذلك، على دواسة المكبح بهدوء، ولكن بحزم (استجابة إجرائية) فتوقفت السيارة كما كنت أريد (تعزيز موضوعي موجب). فشعرت بالارتياح لأن هذا ما كنت أريده (تعزيز ذاتي موجب).
- ولإيقاف محرك السيارة، أدت المفتاح في الاتجاه المعاكس (استجابة إجرائية) فتوقف محرك السيارة (تعزيز موضوعي موجب). فشعرت بالارتياح لأن هذا ما كنت أريده (تعزيز ذاتي موجب).
- مددت يدي اليمنى إلى المكبح اليدوي وجذبتة إلى الأعلى (استجابة إجرائية) فتمت العملية بنجاح (تعزيز موضوعي موجب). فشعرت بالاطمئنان لتثبيت السيارة في مكانها (تعزيز ذاتي موجب).
- سحبت مفتاح محرك السيارة من مكانه (استجابة إجرائية) فتمت العملية بنجاح (تعزيز موضوعي موجب).
- نزعت حزام الأمان (استجابة إجرائية). فتمت العملية بنجاح (تعزيز موضوعي موجب).
- مددت يدي اليسرى إلى مقبض الباب لفتحه، وأدرته في الاتجاه الصحيح ودفعت الباب بعيدا عن السيارة (استجابات إجرائية) فانفتح الباب بنجاح (تعزيز موضوعي موجب)، وهذا ما أريده (تعزيز ذاتي موجب).
- دفعت جسمي كله إلى خارج السيارة للنزول منها (استجابة إجرائية) فتمت عملية الخروج من السيارة والنزول منها بنجاح (تعزيز موضوعي موجب).
- دفعت الباب بلطف إلى ناحية السيارة من أجل غلقه (استجابة إجرائية) فتم غلق الباب بنجاح (تعزيز موضوعي موجب).
- أرسلت إلى السيارة شحنة كهربائية بالمفتاح لغلاق أبوابها إلكترونياً (استجابة إجرائية) فتمت العملية بنجاح (تعزيز موضوعي موجب) فشعرت لذلك بالارتياح والاطمئنان (تعزيز ذاتي موجب).
- ابتعدت عن السيارة، أسير وخطواتي تتعاقب الواحدة تلو الأخرى (استجابات إجرائية) تعاقب الخطوات كان ناجحا (تعزيز موضوعي موجب). وصلت إلى مبتغاي (تعزيز موضوعي موجب).
- التقيت بشخص أعرفه، ولأنه عكّر مزاجي بكلامه، تخلصت منه، بسرعة، أي هربت منه (استجابة إجرائية) عاد مزاجي إلى حالته الطيبة (تعزيز ذاتي سالب بإشراط الهروب).
- هطل المطر، فجأة، وأنا في الشارع دون وقاية، مما أصاب ثيابي الجميلة بالبلل، هربت منه إلى داخل محل تجاري (استجابة

فتأسفت، لأنني لم أحصل على ما أريد (عقاب سالب بتكلفة الاستجابة). ويقوم العقاب السالب بتكلفة الاستجابة على قاعدة "اخطأت ادفع الثمن".

- كان من اللازم أن أوصل زيارة طبيبي، للسكري، من أجل إجراء المراقبة الطبية

الدورية الضرورية لمعرفة تطوره، ولكنني أهملت ذلك لمدة طويلة (استجابة إجرائية) فكانت النتيجة ظهور مضاعفات لهذا المرض (عقاب سالب بتدريب الإهمال).

- كان من الضروري أن أعرض السيارة على الرقابة التقنية الدورية في الموعد المحدد، ولكنني أهملت ذلك (استجابة إجرائية) فتعرضت لعقوبة (عقاب سالب بتدريب الإهمال).

- غادرت مدينة باتنة بسيارتي إلى مدينة خنشلة، شرقاً، فتجاوزت السرعة المسموح بها وهي 80 كلم في الساعة (استجابة إجرائية)، فضبطني أعوان الدرك الوطني المسؤولون عن أمن الطرقات، بواسطة جهاز الرادار، حيث كانت السرعة المسجلة 97 كلم في الساعة، فعاقبوني بغرامة مالية (عقاب موجب)،

والآن، هل يمكن القول، إن سلوكنا اليومي كله عبارة عن سلسلة متعاقبة ومتتالية من الاستجابات الإجرائية وعواقبها، تعزيز أو عقاب ؟

أرأيتم، أن النظرية الإجرائية، أو التعلم بالإشراف الإجرائي، التي قال بها سكينر، نظرية وصفية بسيطة، في مفاهيمها ومبادئها، ولكنها ناجحة نظرياً وتطبيقاً.

أدعوكم إلى اختيار علم النفس الأمريكي، والمواظبة بالاطلاع على إنجازاته النظرية وتطبيقاتها، والعمل على التمكن فيه.

إجرائية) فتخلصت من الوضع غير المريح (هطول المطر) وحفظت ثيابي الجميلة من البلل (تعزيز موضوعي سالب بإشراط الهروب).

- دخلت محلاً لاقتناء حلويات لأفراد أسرتي، لكنني امتنعت عن الشراء منها (استجابة إجرائية) لأن ثمنها مرتفع جداً (عقاب موضوعي موجب).

- كنت أزور سابقاً محلاً تجارياً (استجابات إجرائية) اقتني منه سلعة خاصة اشتيتها (تعزيز موضوعي موجب)، ثم حدث بعد ذلك، أن زرتة عدة مرات (استجابات إجرائية)، وفي كل مرة لا أجد عنده تلك السلعة الخاصة التي أشتيتها (عقاب موضوعي، بسبب انقطاع التعزيز)، لم أذهب إليه هذه المرة (زوال أو انطفاء الاستجابة الإجرائية بسبب انقطاع التعزيز).

- شاهدت نوعاً جيداً من تمر دقلة نور، فاشتيتها، فأحسست ببلل في فمي (إشراط استجابي، أو استجابة شرطية، لبافلوف)، فأقدمت على الشراء منها (استجابة إجرائية)، فشعرت بالرضا والارتياح (تعزيز ذاتي موجب).

- قبل مغادرتي المنزل، ارتديت ثياباً جميلة، وحلقت شعر وجهي، (استجابتان

إجرائيتان)، التقيت باثنين من معارفي، فأطروا مظهري، فقالوا: إنك تزداد شباباً (تعزيز موضوعي اجتماعي)، فشعرت بالرضا (تعزيز ذاتي موجب).

- اقتنيت قارورة ماء صغيرة، وأخذت أشرب ماءها جرعة وراء جرعة (استجابات إجرائية) وكل جرعة أبلعها أحس بعدها بالمتعة والإشباع (تعزيز ذاتي أولي مستمر).

- كان عليّ أن أكون عند مخبر التحاليل الطبية في موعد محدد، ولكنني تأخرت (استجابة إجرائية)، وعندما وصلت إليه وجدته مغلقاً،

شبكة العلوم النفسية العربية

نحن تعاون عربي رقيقاً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

*** **

الكتاب السنوي 2022 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار الحادي عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 19 على الوبج

22 عاماً من الضح... 19 عاماً من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الوبج: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>